المستوطنون والانتفاضة

كان الاستعمار الاستيطاني، ولا يزال، منطلقاً مركزياً في العمل الصهيوني، خصوصاً في شقه اليهودي الذاتي؛ اذ تمّ اعتماده سبيلاً الى تجسيد المشروع الصهيوني في فلسطين. فالصهيونية حوّلت اليهودية من رابطة دينية روحية، شأنها شأن سائر الاديان، الى رابطة «قومية» عنصرية، وادّعت بأن «المسألة اليهودية» مسألة «قومية»، وبالتالي، فقد طرحت لها حلاً «قومياً» يقوم على أساس بناء «دولة قومية»، زاعمة انها بذلك تنهي تلك المسألة، أي ان «الدولة القومية» تحل «المسألة القومية». ومثل هذه الدولة لا يقوم الّا بالاستيطان، لكون المجموعة البشرية التي تشكّل العامل الديمغرافي فيها تنطلق من نقطة الصفر في العلاقة بالارض المعنيّة التي تشكل العامل الجغرافي في الكيان السياسي المزمع اقامته.

وفي السياق ذاته جاء الاستيطان الاسرائيلي، في الاراضي العربية المحتلة العام ١٩٦٧، على رأس المهام المركزية لحكومات «المعراخ» المتعاقبة على السلطة حتى العام ١٩٧٧. فقد أولته اهتماماً خاصاً تجلّى في: البرامج الحزبية والانتخابية؛ والقرارات والتصريحات الرسمية؛ والخطط والميزانيات المتعددة التي طرحت خلال هذه الفترة؛ كما تجسّد هذا الاهتمام في جملة الممارسات الفعلية على أرض الواقع، كمصادرة الاراضي العربية واقامة المستوطنات اليهودية عليها، وتوسيعها، وتدعيمها.

ومع تولّي «الليكود» سدة الحكم في أيار (مايو) ١٩٧٧، شهدت المناطق العربية المحتلة نشاطاً استيطانياً ملحوظاً عكس وجهة نظر الليكود تجاه المناطق المحتلة ومستقبلها السياسي. وعلى الرغم من تأييد زعماء الليكود للاستيطان الشامل في المناطق المحتلة كافة، فان تركيز جهدهم، في الاستيطان، كان، بصورة أساسية، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وذلك بعدما شهدت منطقتا رفح وسيناء تطورات جديدة جاءت في اعقاب زيارة أنور السادات لاسرائيل في العام ١٩٧٧، وتوقيع معاهدة الصلح في ١٩٧٩/٣/٢٦. فقد أتاح هذا المناخ الجديد لحكومة الليكود ان تطلق يدها باتجاه الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، وتزرع فيهما المستوطنات اليهودية في أماكن جديدة كانت حكومات المعراخ تتجنّبها، لاعتبارات سياسية وديمغرافية.

منذ اندلاع الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة، بدأ الركن الاساسي من اركان المشروع الصهيوني (الاستيطان) يزداد تدهوراً وانهياراً. فالمستوطنون يتعرّضون، من جهة، لضغوط الانتفاضة، ويدخلون، من جهة أخرى، في «صدامات» مع الجيش، الذي يعتبر هو الآخر احد الاركان الاساسية والهامّة في المشروع الصهيوني. وعلى الرغم ممّا يوفره هذا الجيش من حماية وأمن، في غالبية الاحيان، للمستوطنين اليهود في الارض المحتلة، فان الصدامات التي تقع، من حين الى آخر، والتي كان آخرها المواجهة التي وقعت عند تقاطع مستوطنة ياكير في الضفة الفلسطينية، لدى اقامة المستوطنين نصباً تذكارياً، تخليداً لمستوطن قتل بأيدي عرب، تخلق فجوة كبيرة وواسعة بين ركيزتين اساسيتين في المشروع الصهيوني، الامر الذي يستنتج منه، بصفة عامّة، تراجع هذا المشروع بشكل كبير، وبالذات في زمن الانتفاضة.

لهذا، فان المستوطنين يُعتبرون أشد الفئات الاسرائيلية حرصاً على اجهاض الانتفاضة، التي تقض مضاجعهم وتربك مشروعاتهم ومخططاتهم، وتعلن رفض سكان المناطق الفلسطينيين التسليم بوجودهم.

البنية التحتية الامنية للمستوطنات

في اطار الفكر الاستراتيجي لاقامة المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة، تمّ التركيز على اقامة اربعة مراكز طوارىء داخل هذه المستوطنات: الاول في مستوطنة آلون موريه؛ والثاني في مستوطنة شيكد (بالقرب